عمامة جبريل يوم غرق فرعون سوداء واخرج ابو الشيخ عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لي جبريل ما ابغضت شيئا من خلق الله ما ابغضت ابليس يوم امر بالسجود فابى ان يسجد وما
ابغضت شيئا اشد بغضا من فرعون فلما كان يوم الغرق خفت ان يعتصم بكلمة الاخلاص
فينجو فاخذت قبضة من حماة فضربت بها في فيه فوجدت الله عليه اشد غضبا مني فامر
ميكايل فاتيته فقال الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين واخرج ابن ابي حاتم عن
السدي قال بعث الله اليه ميكايل ليعيره فقال الآن وقد عصيت قبل واخرج ابن المنذر
والطبراني في الاوسط عن ابي بكر الصديق قال اخبرت ان فرعون كان اثرم انتهى وذكر
ابن حجر في كتابه الزواجر ما نصه واخذ علماء الامة ومجتهدوها الذين عليهم المعول
من الاية الاولى اعني قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اجماعهم على كفر فرعون
ورواه الترمذي في تفسيره في سورة يونس عليه السلام من طريقين وقال في احدهما حديث حسن وفي
الاخر حديث حسن غريب صحيح وروى ابن عدي والطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال خلق الله يحيى بن
زكريا في بطن امه مومنا وخلق فرعون في بطن امه كافرا في الزواجر ايضا انما امن فرعون عند
نزول عذاب الاستيصال له ولقومه والايمان حينئذ غير نافع لما تقرر ان ايمانه انما كان تقليدا محضا
بدليل قوله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فكانه اعترف بانه لا يعرف الله وانما سمع من بني اسرائيل
ان للعالم الها فامن بذلك الاله الذي سمع بني اسرائيل يقرون بوجوده فامن به وهذا هو محض التقليد
على انه كان دهريا منكرا لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الخبيث البالغ نهاية القبح والفحش لا يزول
بتقليد محض بل لا بد في مزيله من ان يكون برهانا قطعيا وعلى التنزل فلا بد في اسلام الدهري
ونحوه ممن كان قد دان بشيء ان يقر ببطلان ذلك الشيء الذي كفر به فلو قال امنت بالذي لا اله
غيره لم يكن مسلما كما مر وفرعون لم يعترف ببطلان ما كان كفر به من نفي الصانع والهية نفسه
وقوله الا الذي امنت به بنو اسرائيل لا يجدي ما الذي اراد به فاذا صرح الايمة في امنت بالذي لا اله
غيره بانه لا يحصل الايمان لاحتماله فكذا فيما قاله وعلى التنزل فالاجماع منعقد على ان الايمان
بالله مع عدم الايمان بالرسول لا يصح فلو سلمنا ان فرعون آمن بالله ايمانا صحيحا هو لم يومن بموسى
صلى الله عليه وسلم ولا تعرض له حينئذ اصلا فلم يكن ايمانه نافعا الا ترى ان الكافر لو قال الوفا
من المرات اشهد ان لا اله الا الله او الا الذي امن به المسلمون لا يكون مومنا حتى يقول وان محمدا
رسول الله فان قلت السحرة لم يتعرضوا في ايمانهم للايمان بموسى ومع ذلك قبل ايمانهم
قلت ممنوع بل تعرضوا لذلك بقولهم امنا برب العالمين رب موسى وهرون على ان ايمانهم حصل
ايمان بمعجزة موسى وهي العصا التي تلقفت ما صنعوا والايمان بالله مع الايمان بمعجزة الرسول
ايمان بالرسول فهم امنوا بموسى صريحا بخلاف فرعون لم يومن به صريحا ولا اشارة بل ذكر بني
اسرائيل دون موسى مع انه الرسول الحق العارف بالله وما يليق به والهادي للطريقة فيه اشارة
الى بقائه على كفره به فان قلت قد صرح القاضي عبد الصمد من الحنفية في تفسيره ان مذهب
الصوفية ان الايمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب وهذا يدل على انه مذهب قديم لان

القاضي



القاضي المذكور وهو متقدم كان موجودا اوايل المائة الخامسة في سنة ثلثين واربعماية قال الذهبي
والحد الفاصل بين العلماء المتقدمين والمتاخرين راس القرن الثالث وهو الثلثمائة واذا كان
مذهب الصوفية ذلك فكيف ساغ الاجماع على كفر فرعون قلت لو سلمنا صحة ذلك عن الصوفية
الذين هم من اهل الاجتهاد المعول عليهم حتى لا ينعقد الاجماع مع مخالفتهم لم يرد ذلك علينا
ولم يخل به ما قدمناه من اجماع الامة على كفر فرعون لانا لم نحكم بكفره لاجل ايمانه الياس فحسب
بل لما انضم اليه من انه لم يومن بالله ايمانا صحيحا وعلى التنزل فهو لم يومن بموسى اصلا فلا يرد ما
حكي عن مذهب الصوفية على ما قررناه فان قلت قد قال محي الدين بن عربي في فتوحاته المكية بصحة
الايمان عند الاضطرار وان فرعون مومن فانه قال ما حاصله لما حال الغرق بين فرعون وبين
اطماعه لجا الى الله تعالى ولما اعطاه باطنه مما كان عليه من الذلة والافتقار فقال امنت انه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل لرفع الاشكال كما قالت السحرة لما امنت امنا برب العالمين
رب موسى وهارون لرفع الارتياب وازاحة الاشكال ثم قال وانا من المسلمين فخاطبه بلسان
العتب الآن اظهرت ما كنت قبل علمته وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين في اتباعك
فاليوم ننجيك فبشره قبل قبض روحه لتكون لمن خلفك اية اي لتكون النجاة علامة له اذ اقال
ما قلته كانت له النجاة مثل ما كانت لك اذا العذاب ما يتعلق الا بظاهرك وقد اريت نجاته من
العذاب فكان ابتداء الغرق عذابا وصارت الموت فيه شهادة خالصة كل ذلك حتى لا ييئس
احد من رحمة الله فانه لا ييئس من رحمة الله الا القوم الكافرون والاعمال بالخواتيم واما قوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فكلام محقق في غاية الوضوح فان النافع هو الله
فما نفعهم الا الله وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده عند روية الباس وانما قبض فرعون
ولم يوخر من حال ايمانه لئلا يرجع الى ما كان عليه من الدعوى واما قوله فاوردهم النار فليس فيه نص انه يدخلها
معهم بل قال الله تعالى ادخلوا ال فرعون ورحمة الله اوسع من حيث لا يقبل ايمان المضطر واي اضطرار اعظم
من اضطرار فرعون في حال الغرق والله تعالى يقول امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فقرن للمضطر
اذا دعاه الاجابة وكشف السوء عنه فلم يك عذابه اكثر من الغرق في الماء انتهى فهل هذا الكلام مقرر ام مردود
فما وجه رده قلت ليس هذا الكلام مقررا وان كنا نعتقد جلالة قائله فان العصمة ليست الا للانبياء وقد
قال مالك رضي الله عنه وغيره ما من احد الا ماخوذ من قوله ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله
عليه وسلم على انه قد نقل عن بعض كتب ذلك الامام انه صرح فيها بان فرعون مع هامان وقارون في النار
اقول وهو يحكم في نفس فتوحاته المكية في اربع محلات ما ذكر مخلدا في النار فكيف يحكم على التشهد بل خولد
النار ويحكم عليه بدخوله الجنة ولنرجع الى كلام ابن حجر فقال واذا اختلف كلام عالم فيوخذ منه بما
يوافق الادلة الظاهرة ويعرض عما خالفها بل قد علمت ان الاية وحديث الترمذي الصحيح صريحان في بطلان
الايمان عند الباس فلا يلتفت بعد ذلك الى ما مر من تاويل فلم تك ينفعهم ايمانهم بان النافع هو الله ايضا
فمما يبطل هذا التاويل ان اصطلاح القران والسنة اضافة الاشياء الى اسبابها فاذا قيل لا ينفع الايمان فليس
معناه الشرعي الا الحكم عليه بانه باطل لا يعتد به واي معنى سوغ لهذا القايل ان يخص نفع الله بهذه الحالة



Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)